شؤون اجتماعية
العدد ٥٨
صيف ١٩٩٨م
السنة ١٥

الوعي اللغوي

د. غالب خلايلي

مما لاشك فيه أن الوعي اللغوي بات أمراً مهماً في الزمن المحموم بالعلل الكثيرة.. وصار جزءاً من الوعي العام وجودياً وقومياً.. وباتت المسألة أن نكون أو لانكون!.

أجل فالوعي باللسان العربي أمر يعادل الحياة ذاتها، لأنه يعبر عن أهم وسيلة اتصال بين البشر، ويعبر عن تاريخهم وتراثهم وحياتهم.. فأنّى لنا أن نستريح ونحن نرى الحاقدين يتهمون العربية بالقصور والتخلف (والصحراوية)، ومن ثم عدم صلاحها للعمل أو للحياة؟.. وكم من مغالطات وجرائم ترتكب في حق العربية.. سواء أكان ذلك من المغرضين المشوهين عن قصد لروعة العربية، أم من أولئك المأخوذين بسحر «*الخواجات*» فساروا ودفعوا أولادهم يتعلمون (الرطن) الصحيح حرصاً على مستقبل مشرق!.. وحياة كريمة!.. وكأن العربية عدوة المستقبل والحياة الكريمة.

إنه ليعز على المرء كثيراً أن يرى أو يسمع من بني جلدتنا يسخرون من اللسان العربي، ويعتبرونه متخلفاً وسبباً للفقر.. فيما يصرون بعنف على

* كاتب من فلسطين.

التكلم مع أولادهم بلسان العصر.. لسان الأعاجم. وعلى مايبدو فإن لساننا - للأسف - صار عبئاً علينا، وصار الكثيرون يتشبهون بالغرب حرصاً على المستقبل!.. وأي مستقبل هذا الذي يضيع المرء فيه لسانه وهويته؟.

مشاهد طريفة ومبكية نراها في عالم الواقع: أُم عصرية (*مودرن*) على آخر هيئة (وربما ابتذال)، تمشي في متجر وراءها طفل وخادمة.. تتكلم انجليزية مكسرة معتقدة أن هذه هي الحضارة بعينها.. وأب عالي التعليم (*استاذ جامعي*) يرطن بالانجليزية مع أولاده.. ويصف التعليم بالعربية بأنه (أمر غير معقول)، أو (حاجة غريبة متخلفة ثقيلة الدم). أُم ليس عندها سوى النوم والزيارات والشراء.. وأولادها بين الخدم منذ الولادة.

ويصل الطفل إلى سن المدرسة وهو لايعرف لا لسانه ولا لسان الآخرين، لأنه تلقى أسوأ مزيج لغوي.. وهنا فلنتذكر أن الخلط مابين اللغات خطأ. صحيح أن الطفل يلتقط بسهولة كل جديد.. لكن الأجدى أن يلتقطه بعناية ونظام وفي وقته.

ماذا نفعل حيال كل ذلك؟ حيال هجوم الآخرين علينا... وحيال هجومنا على أنفسنا؟

لنتفق منذ البداية على كلمة «*اللسان العربي*» التي تعبر عن العربية الفصحى.. بينما تعبر «اللغة» عن اللهجات المختلفة. إن أفصح الكلام هو ماجاء في القرآن الكريم «العربي» (**بلهجة قريش**).. فمن منا لاتأخذه الفصاحة العربية؟ ومن منا لايؤخذ بسحر القرآن لغةً ومعنى وقانون حياة.. إذاً شرف كبير للعرب أن يكون القرآن الكريم عربياً خالصاً.

«اللغة روح الشعب» كما قال همبلت.. ولولاها لما سارت عجلة الحياة كما ينبغي.. ولهذا ترى الأُمم الحية تتمسك بلغتها، بل وتحييها وتصر على استخدامها بفخر عظيم.. وتعتبر انتشارها انتشاراً للأُمة.. وهذا ماحرص الفرنسيون عليه في ماضيهم الاستعماري بمحاولة *فرنسة الجزائر ولبنان*.. ومايحرصون عليه في مراكزهم الثقافية المنتشرة.. إذ يعلمون لغتهم ويمنحون جوائز قيمة عبر مسابقات أدبية لغير الفرنسيين.. ومن هذا المنطلق، رأينا حرص ميتران وخوفه الشديد من الغزو الثقافي الأمريكي عبر التلفاز والنشرات والدوريات.. فرأيناه يحذر إذ نما وعيه اللغوي أو القومي لا فرق.. لا بل وصل الأمر إلى التحذير من الطعام الأمريكي.. وخُصصت دروس في فرنسا لتعليم أصول الطبخ الفرنسي.. هُم وغيرهم يدركون أن الاستعمار اللغوي استعمار لكل شيء.

إذاً لاجدال في أن اللغة هي الشرف كالأرض والعرض.. ومن ماتت لغته مات.. ومن أحياها عاش كريماً مرفوع الرأس. إن الأمثلة لأكثر من أن تُحصى على أولئك المتمسكين بلغاتهم يحيونها ويدرسون بها علومهم وآدابهم، رغم قلة المتحدثين بها.. ومع ذلك يصرون على محادثتك بها، بينما نحرص على محادثة الآخرين بلغاتهم على أرضنا.

العربية سليلة الحضارات.

يوهم الكثيرون أبناءهم وغيرهم أن لغتنا متأخرة (صحراوية)، ويسخر من قولنا (طائرة) لأنها ليست من صنعنا.

هذا خطير... ذلك لأن التكوين اللغوي هو أساس التفاهم بين البشر... وهو يتأسس في نعومة الأظافر، حيث يمتص الأطفال لغة أهلهم وهم صفحة بيضاء في طور التشكيل. ليس خطأ أن نتعلم لغات الآخرين.. فاللغة قوة.. لكن اهمال اللغة الأم وتعلُم غيرها قبل أن نتقنها هو الخطأ المطلق.

ليس صحيحاً أن العربية لغة الشعر والصحراء فحسب... ولو أننا نرى شعرنا العربي (والشعر ديوان العرب) رائعاً غنياً جميلاً. إن العربية لغة الفصاحة والبيان.. بل من أغنى اللغات وأجملها وأكثرها دقة واستيعاباً للمعاني الأدبية و - هنا بيت القصيد - العلمية. لقد نشأت العربية في مهد أولى حضارات العالم في بابل وأرض كنعان وسوريا، حيث الحضارات السومرية والكنعانية والآشورية. بدأت الكتابة في العراق *(الكتابة المسمارية)*.. وتلتها الرسوم الهيروغليفية على ورق البردي.. وأتت الخطوة الأهم على يد الكنعانيين... إذ أوجدوا الأبجدية والحروف الهجائية. كلنا نتذكر أبجدية رأس شمرا التي وجدت قبل آلاف السنين في الساحل السوري.. وعنها نشأت اللغات الأخرى *(الأوروبية وغيرها، التي تفرعت أغلبها عن اللاتينية)*.. بينما صارت الآرامية مع الزمن الوريث الشرعي لمعظم اللهجات الكنعانية - وهناك أُناس لازالوا يتحدثون بها في سوريا - ومنها خرجت السريانية *(التي تكتب من اليمين إلى اليسار كالعربية مع تقارب كبير بينهما)*. والخط النبطي الذي أُشتُقَ منه الخط العربي الحالي.

ثم يأتي الإسلام والقرآن الكريم ليضع العربية في مرتبة سامية خالدة.

إذاً العربي سليل حضارات عريقة.. ومن ثم فإن لغته لغة حضارية غنية.. وكل من

درس اللغات الأجنبية يعرف مدى غنى العربية، ومدى الكلمات عربية الأصل في اللسان الأجنبي. لقد استهل *(وولت تيلر)* كتابه *(الكلمات العربية في الانجليزية)* **بالقول:** *إن معجم اكسفورد يحتوي على حوالي ألف جذر عربي.*

إن العربية أكثر تطوراً.. ويعرف المترجمون كف يمكن ترجمة نص أجنبي بسطر أو اثنين.. لأن العربية أدق.. فمثلاً كلمة الوليد في الانجليزية **New-born**، وكذا كلمة الخديج *(المولود قبل الأوان)* **Pre-mature**... ومثلهما كثير.

بدايات التعريب.

بدأت تجربة تعريب الطب باللغة العربية عام ١٨٢٧، حينما أنشأ محمد *علي باشا* **مدرسة الطب** في القاهرة إلى جانب **مستشفى الجيش** في أبي زعبل... وأوكل إلى الفرنسي كلوت ادراتها.. وظلت هذه المدرسة تعلم بالعربية ستين عاماً حينما رأت الحكومة أن تجعل الانجليزية لغة تعليم، وذلك بتأثير الضغط السياسي الذي مارسه *كرومر ودانلوب.*

عام ١٨٦٦ تأسست **الكلية الانجيلية** السورية في بيروت *(وهي الجامعة الأمريكية اليوم)*، واعتمدت العربية لغة تدريس في كليتي الطب والصيدلة قرابة عشرين عاماً حتى أُقصيت عام ١٨٨٤م، وبقي الطب غريباً حتى عام ١٩١٩، حيث تبنت جامعة دمشق رسالة تعريب العلوم (ولازالت تعمل بجد واخلاص إلى اليوم)، وأُعيد افتتاح «**المكتب الطبي**» *(الذي افتُتح أول مرة عام ١٩٠٣ بارادة السلطان عبدالحميد الثاني، وبقي حتى عام ١٩١٤ فأغلق ونقل إلى بيروت بسبب الحرب العالمية الأولى)*. وسُمي بـ«**المدرسة الطبية العربية**»... ويعود الفضل في اعادة افتتاحها إلى الطبيب *أحمد حمدي حمودة*، الذي أقنع *الأمير فيصل* (قبل تتويجه ملكاً) بذلك. كانت فئة قليلة من الاساتذة الأوائل تمتلك ناصية العربية.. إذ تلقت دراسة خاصة.. أما الفئة الكبيرة منهم، فقد كانت من الشباب الذين تعلموا بالتركية وتقلدوا مناصب عسكرية أو مدنية عُثمانية.. لكنهم عملوا - على كبرهم - بجهد صادق وإيمان كبير على تسيير عجلة التعليم.. وقد استنكف عدد منهم فحل محلهم أُناس أكثر همة وحماسة.. إلى درجة أن بعضهم كان يترجم الدرس فيصححه غيره تصحيحاً جذرياً، فيحفظه عن ظهر قلب ليغدو في الصباح ويحاضر به طلابه.. فلا يقل وقت ضبط المحاضرة الواحدة لغوياً عن أربع ساعات.

وبدأ تأليف الكتب النفيسة العربية بمصطلحات عربية خالصة، منها كتب الاساتذة *جميل الخاني*، *وأحمد حمدي الخياط*، *وحسني سبح* (رئيس مجمع اللغة العربية ذات يوم)، وغيرهم من كبار الأطباء. واليوم فإن الثروة الطبية العربية من الكتب ممتازة بحق وتستدعي كل العرب للاستفادة منه.. وعم اضاعة الوقت في اعادة الترجمة والتأليف.. لاسيما أن لغة بعض الكتب الجديدة ركيكة بدرجات مختلفة. (لمزيد من التفاصيل راجع عدد المجلة الطبية العربية رقم ١٢٢، آذار ١٩٩٤).

كيف لنا أن نحب لغتنا ونطورها؟

أولاً : نبدأ من المدارس ببث حب اللغة العربية في قلوب الطلاب.. وتقريبها إلى أذهانهم.. على أن ننتبه إلى ضرورة تحسين مستوى التعليم على العموم الذي هبط مستواه كثيراً.

ثانياً: تقوم وسائل الاعلام باظهار العربية عروساً جميلة في نشراتها ومسلسلاتها حتى تعتاد الآذان على سلامة اللغة.

ثالثاً: نفهم أن حب الوطن واللغة من الإيمان.

رابعاً: نولد مفردات جديدة.

في مقال (**هل اللغة كائن حي؟**) للدكتور وجيه *عبدالرحمن*، نشرته **مجلة القافلة** في عدد صفر ١٤١١ هـ، **يقول**: «*لقد ازداد عدد مفردات الفرنسية عشرة آلاف مفردة بين القرن السابع عشر حتى أوائل القرن العشرين، بينما لم تزدد العربية سوى خمسين مفردة.. وتم توليد خمسة عشر ألف مفردة خلال العقد الأخير من هذا القرن*».. **ويقول**: «*أليس عجيباً أن يتم توليد ثلاثين ألف لفظ علمي تشمل مصطلحات الطب والتشريح من مئة وخمسين جذراً فقط، اضافة إلى أسماء أعضاء الجسم؟*»... أما طُرق التوليد فهي:

* **الاشتقاق**: ففي الآلات... هناك الغسالة على وزن (فعالة). وفي الأمراض هناك الزكام والسعال والفصام (فُعال). وكذا الأرق والصرع (فَعَل). وفي المهن.. هناك الصناعة والزراعة (فِعالة).. وهكذا نجد في العربية مئتين وأربعة وخمسين وزناً.
* **التركيب**: (حيث + ما) مثل السبورة في الانجليزية (بلاك + بورد).
* **جمع أوائل الكلمات على غرار (الليزر)**.

* **التسمية باسم المخترع**: (واط، هرتز، الخوارزمي الذي أشتُقَت من اسمه كلمة اللوغارتم).
* **الاقتراض اللفظي**: كـ(التلفاز والفيديو)... والاصطلاحات.

الاصـطلاحـــات.

الاصطلاحات مسألة رئيسية في النقل والترجمة، وفي العلوم على العُموم. ونذكر مثلاً بسيطاً «**الحاسوب**» الذي اعتمد مصطلحاً لكلمة كومبيوتر.. فالترجمة الحرفية لهذه الكلمة هي **الحـاسب**.. لكن العمل أكبر بكثير من المعنى الحرفي للكلمة التي دخلت كل مجالات الحياة. وكلمة *الحـاسـوب* ترجمة أفضل تعبيراً من الأصل لأنها صيغة مبالغة على وزن (فاعول).. ومعروفة صيغ المبالغة في العربية، فالمتعلم غير العالم غير العلامة (فعَّالة).. وهكذا الحذر (فعِل)، والشرير (فعِّيل)... إلخ.

هناك كثيرون يتعصبون للأصل الأجنبي على أساس أن الحاسوب اختراع أجنبي.. لكن ماالضير من تعريبه واعتماده؟.. إذاً لاعتاد السمع واللسان عليه.. وتبقى القضية قضية مبدأ.. والألف الميل تنتهي ببساطة.. لكنها الخطوة الواثقة هي الناقصة. لنأخذ التلفاز مثلاً كتعريب لطيف للتليفزيون.. وهناك التعريب الحقيقي له وهو الرائي *(الـذي يُري المناظر من الرؤية* VISION*)*، وأي ضير من استعماله كما درج استعمال المذياع *(الراديو أو الراد)*؟.

وبالنسبة للطائرة.. ألا نعرف الطير والطائر حتى نسمي الطائرة باسم عربي؟

مسألة الاصطلاحات قديمة.. وقد أخذ العرب عن الحضارات القديمة الرومانية والفارسية والاغريقية وغيرها.. وفي مرحلة تالية أخذ الأجانب عنا.. حتى أن كتاب *الرازي* بقي المرجع الطبي الوحيد لعدة قرون في المكتبة الفرنسية قبل عصر النهضة.. فلم التقوقع والعلم ملك البشرية جمعاء؟

لكن هل باب الاصطلاح مفتوح على مصراعيه؟.

لا.. في الحـقـيـقـة، ولا يجب أن يكون كذلك لمن هب ودب على الأرض.. فـهنـاك شروط وأصول.. وهناك اختصاصيون معتمدون، وليس الأمر متروكاً لأي شخص كي يفتي لوحده كونه يعرف.. فلكل علم أئمته وأساطينه وعلماؤه المشهود بنزاهتهم وكفاءتهم.. وهم المخولون بالشرح والتفسير والفتوى والقياس.. على أن يكونوا علماء حقيقيين منزهين موثوقين غير متعصبين.. وإلا اختلط الحابل بالنابل، وبات الأمر وبالاً علينا.

من هنا قام أساطين العلوم بالنقل عن الأمم في العصور الغابرة.. وعن الانجليز والفرنسيين وغيرهم في الوقت الحاضر.. وقام نفر منهم في مجمع اللغة العربية بنحت تعابير تقارب المعنى الأجنبي، كما تُعطي المعنى بالعربية حينما لم يجدوا مقابلاً في اللغة.. وهذا عمل مشكور يستحقون عليه كل تقدير.. **فالإنزيم** مثلاً قالوا إنه *(إنظيم)* مشيرين إلى عملية التنظيم التي تقوم بها الخمائر.. كما نحتوا المتقدرة من **(الميتوكوندريا)** في *الخلية الحية*.. وهي المكان الأساسي لانتاج القدرة في الخلية.. وعلى هذا فقس. إنني أذكر على الأقل اثنين من أساتذتي لهم دور بارز في التعريب.. **أولهما** الدكتور *هيثم الخياط*، **وثانيهما** الدكتور *عدنان* تكريتي، استاذ علم الجراثيم ورئيس تحرير المجلة الطبية العربية.

من هنا يجب ألا نغالي في الرفض.. فالتعريب شيء والجهل باللغات الأخرى شيء آخر. بمعنى أنه لايجب أن ننسى أو نتجاهل أو لانتعلم الأصل الأجنبي إذا قمنا بالتعريب.. فمن تعلم لسان قوم أمن شرهم وشهر الجهل.. وصار قادراً على الانطلاق وعلى فرض نفسه على الآخرين وعلى الاستفادة منهم.. فالانفتاح ضرورة للتطور خلافاً للتقوقع الذي يعني الانتهاء.

التعليم بالعربية.

من البديهي أن تكون قدرة الاستيعاب والتفكير والابداع أكبر بكثير إذا كان التعليم باللسان الأم **(العربية)**، فهذا ماأثبتته الدراسات.. وكلنا نعرف الصعوبات الجمة التي يواجهها الطلاب الجدد حينما يتعلمون بلغات أُخرى.. ونرى قسماً منهم كالضائعين.

وبالفعل، مهما كانت مهارتنا اللغوية عالية، إلا أن فهمنا للغتنا الأم وخفاياها أدق وأسرع.: لأنها الأقرب إلى القلب والعقل.. وهذا مانراه حينما نستمع إلى الأخبار بالعربية، وحينما نقرأ كتاباً عربياً.. فمن المستحيل أن يتشكل ذات الفهم وبنفس القوة حينما نستمع إلى نشرة انجليزية أو نقرأ كتاباً انجليزياً مهما كنا بارعين. إن القارئ على استعداد لأن يراجع كتاباً ضخماً في ليلة واحدة.. لكنه لن يقدر على ذلك بغير لغته.

في محاضرة له على مسرح المجمع الثقافي بأبوظبي، عنوانها: «**ترجمة الأدب العربي إلى اللغة الانجليزية**»، أوضح المستشرق *(ليزلي ماكلوجين)* وهو

مترجم الملكة اليزابيث سابقاً، أوضح صعوبة ترجمة الشعر العربي إلى الانجليزية، **وقال**: «*إنها فكرة مخيفة جداً بسبب طبيعة الشعر العربي الذي يمتاز بخاصية الطـرب*».. حتى لم يجد ترجمة انجليزية لقصيدة من الشعر العربي لها عُشر أثر القصيدة الأصلية، **ويقول**: «*إن على المترجم قبل كل شيء أن يكون شاعراً بلغة الأم، لهذا فإن قضية ترجمة الشعر العربي إلى الانجليزية قضية ميؤوس منها.. وهذا يعود إلى طبيعة الانجليزية ذات الجنور المختلفة جداً*».

إن المشكلة في أن الذين تعلموا بلغات غير العربية هي أنهم لايريدون بذل أدنى جهد مثل الذي بذلوه يوم تعلموا لغة أجنبية.. فيقولون إن العربية لاتجاري العصر.. ولاتستوعب المعلومات ومفردات العلوم.. وهم حقيقة مخطئون جداً أو مغالون أو مفرطون في الخلود إلى الراحة (الكسل)، فقلب المناهج يكلفهم وقتاً وجهداً، ومن ثم لاداعي إلى المخاطرة. ولعل تجربة جامعة دمشق التي صار عُمر بعض فروعها أكثر من ثلاثة أرباع قرن، أكبر دليل على نجاح العربية في التدريس بلا عوائق أو حواجز.. فهل يوجد أحد لايعرف معنى عين أو أُذن... أو لايعرف كيف يربط الكلام.. فماذا يبقى بعدئذ غير كلمات يسيرة واصطلاحات ذللها لنا أولئك الأوائل؟.

هناك عشرات الآلاف يتخرجون كل عام في مختلف فروع العلم ولم تعق أحداً نبيهاً لغته العربية عن الجد والسفر والتحصيل والاختصاص وكسب العيش.. زد على ذلك أنها زادت اقبال الطلاب على التعلم بدل النفور من لغة لايعرفونها.. وصارت الثروة اللغوية العلمية هائلة، فهناك اليوم مئات الكتب الثرية في مجال العلوم.. وهناك المعاجم والموسوعات العلمية والطبية العربية في سوريا ولبنان ومصر.

وهكذا... فإن اللغة لاتعوق صاحب الارادة.. ولو كانت لغة الابداع انجليزية لوجدنا الانجيلز علماء العالم على اعتبار أن لغتهم الأم هي السائدة.. ومع ذلك نرى المبدعين في كل مكان.. فليس للابداع لغة ولا موطن واحد.

نحن نعرف أن الانجليزية هي المسيطرة في العالم لأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية.. ومع ذلك يتمسك الفرنسي بفرنسيته، والألماني بألمانيته.. فلماذا لايتمسك العربي بعربيته؟.. لماذا يتحدث بالعامية؟ لماذا لايقاوم محاولات سلخ جلده؟.

تُرى هل صارت لغتنا عبئاً علينا؟ هل نخجل منها؟... إذا كان الأمر كذلك، فكيف نخفي لون عيوننا ولباسنا العربي، وكيف لانخجل منها؟. الواقع إنه يجب أن نخجل من أنفسنا.

وماذا عن دراسة الطب بالعربية؟

يدرس الطب بالأسبانية والفارسية والعبرية والألمانية والإيطالية... بينما يُدرس في أغلب بلادنا بالانجليزية أو (ربما الفرنسية).. وشتان مابين لساننا وألسنة الآخرين.. ومقوماتنا كأُمة ومقومات الآخرين. فماهي مبررات تدريس الطب بالعربية؟.

أولاً : ثروة الكتبة الطبية العربية موجودة.

وثانياً: العمل الطبي عمل إنساني.. والتفاهم فيه شيء أساسي من أجل التشخيص الصحيح، ومن ثم العلاج الصحيح.. آخذين بعين الاعتبار الدور النفسي لكلمات الطبيب في اراحة المريض وأهله.. وكل هذه الأمور مهمة وخطيرة توجب الانتباه.. والطبيب ابن البيئة أكثر تفهماً لأهله ومواطنيه وأمراضهم المستوطنة.. وأقدر على تفهم أنماط سلوكهم وخفايا تفكيرهم.. كما أن الراحة النفسية من أهم عوامل الشفاء البدني وتقوية المناعة كما تدل البحوث... هذا ناهيك عن الانتشار الواسع لأمراض العصر من شدات وغيرها من الضغوط النفسية أو ذات الطبيعة النفسية البحتة.. وتكفي الاشارة إلى الارتباط الوثيق مابين النفس والبدن. لهذا تصر الدول الأجنبية على الأطباء الغرباء تعلم لغة أهلها كشرط أساسي لايمكن التهاون به.

إذن ليكن الجـواب: نعم للطب بالعربية.. ولكل العلوم.. ولنستفد من تجارب الآخرين فلانضيع الوقت سدى.. وليختر مجلس عربي الكتب القيمة وليطور مابدأ الآخرون به.. فتكون الوحدة العلمية جزءاً لايتجزأ من وحدة الآمال والمصير. إننا بحاجة إلى كل قدرة عربية كي تتعلم وتنتج لاسيما وأن نصف العرب أميون... وأكثر الباقين يعيشون أُمية ثقافية. القرار الجريء مطلوب.. والحاجز النفسي الذي يخيف بعض الناس وهمي، سرعان مايتكسر حينما نبدأ.. لنرى إن العربية سيدة بالفعل.

إن الضياع هو مشكلتنا الحقيقية.. فلانحن نفهم لغتنا.. ولانحن قادرون على اللحاق بركب الآخرين.. ناهيك عن العوائق التي تنتظر العلماء والمفكرين هنا.. والحوافز المتوفرة للمبدعين هناك. نحن لاشك ضعفاء... لكننا نملك كل عناصر القوة.. إنما نحتاج إلى الجد والتصميم وتغيير طريقة تفكيرنا البدائية.. كما نحن بحاجة إلى الإيمان بلغتنا العظيمة.

وإذا كان نشر لغتنا وجعلها عالمية بعيد المنال (بجهودنا)، فليس قبل أن نتقن علم الآخرين ولغتهم.. شريطة ألا نضيع ملامحنا وتراثنا وعُمرنا.. وألا نكون أقل إيماناً بلغتنا من نزهاء المستشرقين.

وفي الختام... فلتذكروا أبيات حافظ إبراهيم الرائعة على لسان العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبتُ حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائيَ الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغاتِ
أيهجرني قومي عفا الله عنهم ... إلى لغةٍ لم تتصل برواة؟

ولتذكروا أيضاً أن في لغتنا بالفعل ماهو صعب.. لكن هل يفهم الانجليز أو حتى عُشرهم لغة شكسبير؟.

ولما كانت اللغة العربية - مثل كل لغة - حاوية على الصعب والسهل والقبيح والجميل، لابد للذوق أن يتدخل على حد قول صفي الدين الحلي:

إنما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيسُ
والسبنتي والحقص والهيبق والهرجس والطرقسان والعسطوسُ

لغة تنفر المسامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوسُ
أين قولي هذا كثيبٌ قديمٌ ... ومقالي عقنقل قدموسُ؟

من الورد الشائك الصحراوي والهش وما لارائحة له.. ومن الورد الفل والياسمين والزنبق والجوري.. وكم من فروق في طرائق اختيار باقة منها وترتيبها. إن للذوق والموهبة والتعليم بلاشك دوراً كبيراً في طرائق الاختيار والتنسيق.. لترى أورادنا زاهية الألوان بديعة وأُخرى منفرة.. وهذه هي حال لغتنا.. التي نأمل أن تبرز لوحة غناء في ربيع دائم.